مَا العَرَبُ اليَوْمَ

جلد فكري على طريقة فريدريك نيتشه

رسائل بلا عنوان

تأليف

محمد احمد محمد المشهداني

ما العرب اليوم

جلد فكري على طريقة فريدريك نيتشه

رسائل بلا عنوان

تأليف محمد احمد محمد المشهداني

إن هذا السكون الثقيل الذي يطبق على أرواحنا ليس نبعاً للسلام بل هو مستنقع يغرق فيه كل سؤال نابض بالحياة لقد اعتدنا أن نسير مطأطئي الرؤوس تحت ثقل تاريخ لم نصنعه نحن بل صنعه أولئك الذين رحلوا وتركوا لنا عبء تقديسهم واليوم أقف أمام هذه المرآة المتصدعة لأفعل ما يخشاه الجميع أقف حاملاً مطرقة الشك لأطرق بها جدران الهياكل القديمة التي نعبد فيها عيوبنا باسم الأصالة والخصوصية إن السير في هذا الطريق وعر وموحش لأنك حين تبدأ بنقد ذاتك ونقد محيطك يتهمك القطيع بالخيانة بينما أنت في الحقيقة لا تفعل شيئاً سوى محاولة إيقاظهم من نومهم المغناطيسي الطويل الذي طال لقرون كيف تجرؤ على السؤال هذا هو القانون غير المكتوب الذي يحكم حياتنا اليومية في الشارع وفي البيت وفي قاعات الدراسة حيث

يُطلب منا دائماً أن نكون نسخاً مكررة من ماضٍ انتهى وصار رماداً إننا نعيش في ثقافة تخشى النور وتفضل العيش في العتمة الدافئة للأوهام المشتركة فالعربي اليوم يفضل أن يعتقد أنه ضحية لمؤامرة كونية كبرى على أن يواجه الحقيقة المرة وهي أنه شريك في صنع قيوده الخاصة بيده إن هذا العجز عن مواجهة الذات هو المرض الحقيقي الذي ينخر في عظام فكرنا وكل محاولة للنهوض دون المرور بجهنم النقد الذاتي هي مجرد مسكنات واهية تؤجل الانفجار ولا تمنعه

أعلم أن قلمي ما زال يتعثر في محاولاته الأولى كطفل يحاول المشي على أرض صخرية وعرة وأدرك تماماً أن هذه الكلمات قد تبدو حادة أو متهورة في نظر الحكماء الزائفين الذين يبيعون الوهم للناس ويريدون بقاء كل شيء على حاله

الهش لكنني لا أستطيع أن ألتزم الصمت المريح وأنا أرى هذا التدهور الروحي والفكري المريع يلتهم أجيالاً بأكملها ويحولها إلى مجرد أرقام في قطيع يساق نحو الهاوية إن النقد ليس ترفاً فكرياً يمارسه الفلاسفة في أبراجهم العاجية الدافئة بل هو ضرورة وجودية كالهواء للرئة التي تكاد تختنق وتلفظ أنفاسها الأخيرة إننا بحاجة ماسة إلى تحطيم تلك الأقنعة الجميلة البراقة التي نرتديها كل صباح لنخفي وراءها ملامحنا المشوهة فالصدق المطلق مع الذات هو الخطوة الأولى والوحيدة نحو القوة والامتلاك الفعلي للوجود والسيادة على المصير

أين هم المغامرون الشجعان الذين يجرؤون على صعود القمم الشاهقة حيث الهواء نقي وعنيف يحرق الصدور الضعيفة وأين أولئك الذين لا يخشون النظر الطويل في أعماق الهاوية ليروا

انعكاس حقيقتهم دون تجميل أو تزييف إن هذا الكتاب ليس دعوة لليأس والتباكي بل هو صرخة جنونية من أجل الحياة صرخة تريد أن تنفض الغبار المتراكم لقرون عن العقول الكسولة التي استمرأت الخنوع والتبعية العمياء إنني أكتب وأنا أعلم أن السقوط محتمل في كل خطوة وأن الفشل قد يتربص بي عند كل منعطف فكري وعقائدي خطير لكن الوقوف المذل في منطقة الأمان الدافئة والميتة هو الفشل الحقيقي الذي لا أرتضيه لنفسي ولا لأمتي التي أريد لها أن تستفيق من رقدتها وتنفض عنها غبار القرون والتبعية والكسل

لقد شبعنا حتى التخمة من كلمات المديح الجوفاء والقصائد التي تتغنى بأمجاد غابرة لم نسهم في صنعها وهي لا تسمن ولا تغني من جوع في واقعنا المعاش المليء بالهزائم والانكسارات وحان الوقت لنمسك بالمشرط ونفتح تلك الجروح

القديمة المتعفنة لعلنا نجد طريقاً حقيقياً للشفاء والخلاص إن النقد الذاتي الصارم هو بمثابة العاصفة الهوجاء التي تقتلع الأشجار اليابسة والميتة لتفسح المجال لنمو بذور جديدة قوية قادرة على مواجهة شمس الحقيقة المحرقة وبدون هذه العاصفة الفكرية سنبقى مجرد بقايا حضارة تتلاشى ببطء مخيف في غياهب النسيان والإهمال والتاريخ لا يرحم الضعفاء والواقفين على الهامش يندبون حظهم البائس ومن هنا أبدأ رحلتي بكل شجاعة وكل خوف وكل أمل متطلعاً إلى فجر جديد نصنعه بمطارقنا وعرقنا وعقولنا الحرة التي ترفض الوصاية والتدجين تحت أي مسمى كان

البيئة ليست مجرد رمال صفراء ممتدة على مد البصر ولا هي مجرد تراب جاف نطأه بأقدامنا المتعبة بل هي المارد الخفي والمهندس الأول الذي ينحت تضاريس أرواحنا منذ فجر الأزل ويصهر معدننا الإنساني في أتون حرارتها اللاهبة حيث تلتقي قساوة الأرض مع قساوة الطباع لتنتج في النهاية إنساناً يحمل الصحراء الشاسعة في داخله أينما ارتحل وحيثما حل إن هذه البداوة الأولى التي نظن بجهلنا الغريب أننا تجاوزناها بمجرد سكننا في بيوت الإسمنت الباردة وتحت الأنوار الاصطناعية الزائفة ما زالت تعوي في أعماقنا العميقة كذئب جائع لم يفلح الزمن في ترويضه أبداً فالصحراء بطبيعتها القاسية لا تعرف الحلول الوسط ولا تؤمن بالهوامش والظلال الرمادية فإما أن تسود فوق الجميع وإما أن تزول وتندثر ومن هذه الثنائية

الحادة والقاتلة ولد عقلنا العربي المعاصر الذي لا يرى في الوجود الفسيح إلا اللونين الأبيض والأسود الفخر المطلق الذي يصل إلى حد تأليه الذات والغرور الأجوف أو الهجاء الساحق الذي يدمر الآخر ويسحق كرامته دون أي مساحة عقلانية وسطى للتأمل والهدوء أو السؤال الفلسفي الرصين الذي يبني الحضارات الحقيقية إننا نعيش في سجن حقيقي شيدت جدرانه الجغرافيا القديمة ولم نجرؤ يوماً واحداً على كسر قضبانه الحديدية لأننا ببساطة عشقنا قيودنا واعتبرناها جزءاً لا يتجزأ من هويتنا المقدسة التي نخاف عليها من الزوال والتلاشي

أعلم جيداً ككاتب يتلمس خطواته الأولى في هذا الدرب الوعر المليء بالأشواك والنقاد المتربصين أن تفسير الروح البشرية من خلال الجغرافيا قد يبدو تبسيطاً مفرطاً في نظر أولئك

الحكماء الذين يملؤون قاعات الجامعات بثرثرتهم الجافة لكنني أرى بوضوح لا شائبة فيه أن شمس الصحراء المحرقة قد أفرغت عقولنا من رطوبة الشك الخلاق وجعلتنا نطلب اليقين السريع والسهل والقاتل فالإنسان الذي يعيش تحت وطأة شمس لا ترحم وطبيعة تهدد حياته في كل لحظة لا يملك ترف الانتظار والتفكير الهادئ بل يندفع بغريزته البدائية نحو الحلول الحاسمة والنهائية ومجتمعنا اليوم يعيد إنتاج هذه البدواة في صراعاته السياسية والاجتماعية حيث يغيب الحوار العقلاني وتحضر لغة الإقصاء والتخوين والقتل المعنوي والمادي لكل من يختلف معنا في الرأي أو العقيدة إننا لم نغادر الخيمة بعد في طريقة تفكيرنا وعلاقاتنا الإنسانية بل نقلنا الخيمة وكل عيوبها وصراعاتها القبلية إلى قلب المدن الحديثة وداخل غرف البرلمانات والمؤسسات

التعليمية التي كان من المفترض أن تكون منارات للوعي والحرية والنهوض الفكري والروحي

انظروا بتمعن ودون أي تجميل إلى هذا الولع المرضي بالماضي كيف تحول في وعينا الجمعي من مجرد عبرة وتاريخ نقرأه لنتعلم منه إلى صنم ضخم نعبده بكرة وأصيلا ونقدم له قرابين من حاضرنا ومستقبلنا إننا أمة غريبة تسير إلى الأمام وعيونها مثبتة بقوة إلى الخلف نخشى مواجهة حاضرنا البائس لأننا نرى فيه مرآة حقيقية تعكس عجزنا وانكسارنا وفشلنا في اللحاق بركب الإنسانية المتقدمة فنهرب بذعر وجبن إلى ظلال العصور الذهبية الغابرة لكي نستنشق غبار الأمجاد القديمة ونتغذى بشغف على حكايات فتوحات وانتصارات عتيقة لم نشارك أبداً في صنعها بل ورثناها كعبء روحي ثقيل يمنعنا من أي حركة حرة إن هذا التقديس الأعمى للسلف

ليس احتراماً حقيقياً لهم كما ندعي بل هو اعتراف مبطن وصريح بإفلاسنا المعاصر وعجزنا الكامل عن مجاراة العصر الذي نعيش فيه فنلجأ بضعف إلى تحنيط التاريخ وجعله المعيار الوحيد والنهائي للحقيقة والجمال والفضيلة وكل من يحاول اليوم إدخال مبضع النقد العلمي في هذا الجسد التاريخي المحنط يُرجم فوراً كهرطوقي مارق تجرأ على كسر هيبة الآلهة القديمة وتدنيس المعابد التي نختبئ فيها من برد الحاضر

هذا هو قدرنا الذي اخترناه بملء إرادتنا الضعيفة والكسولة أن نكتب تاريخنا دائماً بأقلام المنتصرين والطغاة والوعاظ المنافقين الذين برروا الهزائم المتتالية وصاغوا الذاكرة الجمعية لتناسب مقاسات خنوعنا واستسلامنا للأمر الواقع فنشأنا وتربينا على ذاكرة جريحة مشوهة تنتقي من الأحداث التاريخية ما يغذي نرجسيتنا

الجريحة فقط ويهرب بنا بعيداً عن المسؤولية الأخلاقية والوجودية تجاه واقعنا المعاش إن العربي المعاصر يستلذ بشكل غريب ومخيف دور الضحية المظلومة ويجد في نظرية المؤامرة الكونية ملاذاً آمناً ومريحاً يبرر فيه كسله الذهني وعجزه عن الفعل التاريخي الحقيقي فكل هزيمة نمنى بها هي مؤامرة دبرت بليل من الخارج وكل تخلف نعيشه هو تدبير خبيث من الأعداء المتربصين بنا وبديننا وقيمنا بينما الحقيقة الصارخة والمرة تهمس بوعيد في آذاننا المغلقة بأننا نحن من فتحنا الأبواب للريح ونحن من تنازلنا طوعاً عن إرادة القوة والسيادة الحقيقية لصالح الأوهام اللذيذة والمسكنات الفكرية التي تباع برخص في سوق النخاسة الثقافية والإعلامية

إن القبلية البدائية القديمة لم تمت في صدورنا وعقولنا كما توهمنا لبعض الوقت بل غيرت

جلدها بذكاء وارتدت ربطات عنق حديثة وأقنعة حزبية وطائفية ومذهبية وعقائدية براقة لتستمر في ممارسة نفس الدور الإقصائي والتدميري الذي كان يمارس في الجاهلية الأولى فالولاء الأعمى في مجتمعاتنا ما زال للدم والقرابة والطائفة والحزب وليس للحق والعدالة والعقل الحر وما زال الفرد منا مستعداً للتضحية بحقيقته وفرديته وصوته الخاص المتميز في سبيل إرضاء قبيلته الحديثة التي تمنحه أماناً وهمياً مؤقتاً مقابل نزع سلاحه الفكري وشل إرادته الحرة تماماً إن هذا التلاشي المخيف للفرد في حضن المجموع الموجه هو العدو الأول والأخطر لكل إبداع وتميز وحرية حقيقية فحين يفكر الجميع في مجتمع ما بنفس الطريقة وبنفس الكلمات والعبارات المعلبة لا يعود هناك أحد يفكر حقاً وتتحول المجتمعات بأكملها إلى قطعان تساق

بسهولة تامة برغبات الطغاة والجهلة والانتهازيين الذين يجيدون اللعب والعزف على أوتار الغرائز البدائية العتيقة الكامنة في نفوس العامة

كيف يمكن لروح حرة أن تعيش وتنمو في هذه الأجواء الخانقة المليئة بالغبار والصدأ وكيف يمكن لعقولنا أن تنبت أفكاراً عظيمة أو تتطلع بشجاعة إلى آفاق أرحب وأجمل إننا بحاجة ماسة وعاجلة إلى زلزال فكري عنيف يهز هذه الجذور العميقة ليعيد فحص التربة الفاسدة التي نتغذى منها منذ قرون وبحاجة إلى شجاعة حقيقية تمسك بمعاول الهدم والتفكيك لتفتيت هذه الصخور التاريخية والتقاليد البالية التي تسد مجاري عقولنا وتمنع تدفق مياه الوعي الجديد إن الرحلة طويلة جداً وشاقة والبداية تتطلب منا قبل كل شيء أن نتخلى عن كبريائنا الزائف ونعترف بمرارة وشجاعة بأننا ما زلنا أسرى لبيئة وتاريخ وذاكرة

مشوهة لم نساهم يوماً في نقدها أو تمحيصها بل استسلمنا لها بضعف وكسل مخيف وحان الوقت الآن لنقف عراة تماماً أمام شمس الحقيقة المحرقة لنبدأ من جديد وبكل قوة عملية الخلق والتشكل بإرادة حرة ومطرقة ثقيلة لا ترحم الأوهام المتوارثة ولا تجامل الأصنام القديمة والحديثة التي جثمت على صدورنا طويلاً ومنعتنا من الطيران والصعود نحو آفاق المجد والقوة والإنسانية الحقة التي تليق بنا وبمستقبلنا المنتظر نحن نقف مكبلين بسلاسل خفية لا نراها ولكننا نشعر بوزنها الثقيل يسحق عظامنا نسحب وراءنا توابيت الأجداد الميتة ونظن واهمين بجهلنا المضحك أننا أحياء نتنفس إن الذاكرة التي نحملها اليوم في رؤوسنا المثقلة بالهموم ليست وعاء للمعرفة الحرة أو منطلقاً للتطور والتحليق نحو آفاق جديدة بل هي مقبرة واسعة ومظلمة ندفن

فيها حاضرنا كل يوم لكي نرضي أشباحاً رحلت وتركت لنا رمادها لنتعبد في محرابه كيف يمكن لجسد ينبض بالحياة ويريد النمو أن يتغذى على جثث الماضي المعفنة وكيف لعينين تنظران إلى شمس المستقبل أن تكونا غارقتين في دموع البكاء المستمر على أطلال بالية لم يبق منها سوى الغبار إن هذا الولع المرضي بتقديس كل ما هو قديم ليس احتراماً للتاريخ بل هو خوف طفولي مرعوب من مواجهة الواقع وعجز فكري مخيف عن خلق أي قيم جديدة تنقذنا من هذا الركود الطويل إننا أمة تخشى التغيير كخشية المريض من الدواء الشافي وتفضل الموت البطيء في أحضان الماضي الدافئة على المغامرة والصعود إلى قمم الحاضر الصاخبة والمليئة بالتحديات والمخاطر التي تصنع النفوس القوية والرجال الحقيقيين الذين يكتبون التاريخ بدمائهم وعقولهم الحرة

استعذاب المظلومية هو المخدر الأقوى والأشد فتكاً الذي نتناوله صباحاً ومساءً لكي نهرب بجبن من مسؤولية وجودنا وقدرنا المعاصر إننا نتقن دور الضحية ببراعة مذهلة تفوق كل تصور ونجد في انكساراتنا المتتالية وهزائمنا المخزية نوعاً من القداسة المزيفة فالعالم كله في نظرنا القاصر يتآمر ضد عظمتنا المتخيلة والجميع يريد إسقاطنا لأننا نحمل الحقيقة المطلقة والنقاء الأبدي الذي لا يملكه غيرنا يا لها من نرجسية مضحكة ومبكية في آن واحد كيف سمحنا لأنفسنا أن نسقط في هذه الهاوية الفكرية السحيقة ونحول جروحنا القديمة الهزيلة إلى أوسمة براقة نعلقها على صدورنا العارية إن هذا البكاء المستمر على ما ضاع وفات ليس إلا دليلاً صارخاً على إفلاس الروح وضعف الإرادة وضياع البوصلة فالعظيم القوي لا يبكي على جروحه بل يجعل منها وقوداً لمعاركه

القادمة ومصدراً حياً لطاقة الخلق والابتكار والتحول أما نحن فقد جعلنا من جروحنا معابد مقدسة نعبد فيها عجزنا ونبرر بها تخلفنا المخزي عن ركب الإنسانية التي تسير بسرعة الضوء بينما نحن نتجادل حتى الصباح حول أمور تافهة حسمها التراب والنسيان منذ ألف عام أو يزيد ودون أن نصل إلى أي نتيجة تذكر سوى مزيد من الانقسام والتشظي

إن التاريخ الذي نقدسه ونعلمه لأطفالنا في المدارس ونردده بفخر ساذج في مجالسنا وعبر وسائل إعلامنا الرخيصة هو تاريخ مشوه كتبته أقلام المنافقين والمداهنين الذين سجدوا طويلاً تحت أقدام السلاطين والملوك ولم يكن يوماً تاريخاً للإنسان الحر أو الفكر الثائر لقد حنطوا لنا الشخصيات القديمة وجعلوها معصومة من الخطأ ورفعوها إلى مصاف الآلهة التي لا تُمس حتى

غدا نقد أي رمز تاريخي بمثابة كفر مخرج من الملة وخيانة عظمى للوطن والتراب إن هذا الخوف الهستيري من تفكيك الماضي يكشف عن هشاشة مرعبة في بنيتنا الفكرية والروحية فنحن ندرك في أعماقنا العميقة التي نخاف النظر إليها أن هذا البناء القديم متداع وآيل للسقوط عند أول ضربة مطرقة حقيقية ولذلك نحيطه بسياج سميك من المحرمات والخطوط الحمراء لكي نحمي أوهامنا اللذيذة من الانهيار والزوال ونبقى مستمتعين بنومنا المغناطيسي الطويل الذي يحمينا من مواجهة الواقع المرير والاعتراف بأننا بلا وزن ولا قيمة في هذا العالم الحديث الذي لا يرحم الضعفاء والكسالى الواقفين على قارعة الطريق

أعلم تماماً ككاتب مبتدئ يخط كلماته الأولى بحبر القلق والتوتر أن كلامي هذا قد يبدو لبعض الحكماء الزائفين وحراس المعبد القديم نوعاً من

التطاول والجرأة غير المحمودة وقد يتهمونني بالتهور والجهل بالتاريخ الحقيقي ولكنني أتساءل بأعلى صوتي أين هي المطرقة الثقيلة التي ستحطم هذه الأصنام الجاثمة على صدورنا وعقولنا وتمنعنا من التنفس والتحرك بحرية وأين هم الشجعان المغامرون الذين يجرؤون على كتابة تاريخ جديد بأقلام لا تعرف المجاملة ولا تخشى لومة لائم إننا بحاجة ماسة وعاجلة إلى عاصفة فكرية تقتلع هذا التقديس الأعمى من جذوره وتعيد صياغة علاقتنا بالزمن فالماضي يجب أن يكون خادماً ذليلاً للحاضر نأخذ منه ما يقوينا ونرمي ما يضعفنا وليس سيداً مطاعاً نركع تحت أقدامه والتاريخ يجب أن يكون مجرد جسر قوي نعبر عليه نحو المستقبل الواسع وليس جداراً إسمنتياً سميكاً نسجن خلفه أرواحنا وتطلعاتنا الكبرى إن الوقوف الطويل والمذل أمام مرآة الأمس

المشروخة لن يمنحنا وجهاً جديداً أو ملامح قوية بل سيشوه ملامحنا الحالية أكثر فأكثر وعلينا أن نمتلك الجرأة الكاملة لكسر هذه المرآة والنظر مباشرة وبكل شجاعة إلى شمس الحقيقة المحرقة مهما كانت مؤلمة وقاسية وصادمة لوعينا المزيف الذي عشناه لقرون طوال دون أن نجرؤ على السؤال أو الشك أو التمرد الروحي الفذ الذي يصنع المعجزات ويغير مجرى الحياة ونهر التاريخ الذي لا ينتظر المترددين والواقفين في أماكنهم ينتظرون معجزة تأتي من السماء لتنقذهم من وحل عجزهم وصمتهم المطبق هنا يربض التنين الأكبر الذي يمنع العقول من الطيران وينفث سموم الطاعة والتبعية في عروق الأجيال المتعاقبة جيل بعد جيل دون أن يجرؤ أحد على الصراخ في وجهه أو رفع مطرقة الشك أمامه إن العقل الذي نتفاخر بوجوده اليوم ونظن واهمين

أنه منبع وعينا وتاريخنا ليس في الحقيقة إلا صدى خافتاً لأصوات قديمة ميتة تتردد في فراغ أرواحنا الموحشة ونحن أمة لم تتعلم بعد كيف تصمت لتفكر بعمق وتأمل بل تعلمنا كيف نملأ الكون بالضجيج والثرثرة والخطب الحماسية الجوفاء لكي نتهرب بجبن من سماع صوت الفراغ المرعب والعدم الذي ينخر في دواخلنا ويعري حقيقتنا إن العقل الشفاهي المعاصر الذي ورثناه عن أزمان البداوة القديمة هو عقل يعيش على السمع والنقل والترديد والتبعية العمياء للكلمة المنطوقة لا يستطيع الصمود أو التنفس في عصر برودة الشاشات الرقمية وجبروت الآلة والذكاء الاصطناعي الذي يطالب بالدقة والتحليل والإنتاج المعرفي الخالص والعملي بينما نحن ما زلنا نغرق بغباء في بحار لا ساحل لها من البلاغة القديمة والمحسنات البديعية والمجازات الواهية

التي تشبه بالونات هواء ملونة تطير في السماء وتزين واقعنا القبيح وتنفجر بذعر عند أول ملامسة لحقيقة علمية صلبة أو تحد حضاري حقيقي يواجه وجودنا إن هذا العقل الذي تملؤه العاطفة الجياشة والانفعالات الطفولية السريعة والسطحية يثور لأبسط الكلمات ويهدأ بأتفه الوعود والمبررات الغيبية الساذجة وهو عقل لم يبلغ سن الرشد المعرفي بعد حيث غابت عنه الأسئلة الكبرى الحارقة والشك المنهجي الخلاق وسادت مكانه الطمأنينة الكاذبة والإجابات الجاهزة والمعلبة التي يوزعها سدنة المعبد الفكري والسياسي لكي يضمنوا بقاء الجميع داخل الحظيرة الدافئة وتحت وصايتهم الأبدية إن الخوف من المعرفة هو الخوف من مواجهة الذات وحين يعجز الإنسان عن التفكير يصبح كائناً مسلوب الإرادة يقوده الآخرون نحو مصيره

المحتوم وهو يبتسم ظناً منه أنه يسير نحو الخلاص والنجاة بينما هو يسير نحو حتفه الفكري المحقق أعلم جيداً ككاتب مبتدئ يخط كلماته الأولى بحبر القلق والتوتر والاندفاع أن كلامي هذا قد يبدو لبعض الحكماء الزائفين ثورة مراهقة أو شطحات كاتب غر لا يفقه عمق الفلسفة ولكنني أتساءل بأعلى صوتي كيف يمكن لروح حرة أن تتنفس في وسط هذا الركام الثقافي الذي يخنق الأنفاس ويهدد كل فكرة جديدة بالموت والوأد وهي في مهدها إن المشكلة الحقيقية في خطابنا الثقافي المعاصر هي أنه خطاب تبريري بامتياز لا يسعى لمعرفة الحقيقة بقدر ما يسعى لتجميل الواقع وإيجاد الأعذار للفشل والتخلف والجهل ونحن نقف اليوم عاجزين عن إدراك أن الفكر الحقيقي هو الفكر الذي يملك الجرأة على هدم الأوهام وزعزعة اليقينيات الكاذبة وتطهير

العقول من رواسب القرون الميتة وبدلاً من ذلك نجد أنفسنا نقدس الجهل ونمنحه صفات الحكمة والوقار ونحارب كل من يحاول فتح نافذة للنور والحرية في هذا الجدار السميك من التخلف والركود الروحي والفكري وتأتي تلك الجدلية البائسة والمهزلة التاريخية الكبرى التي نسميها التراث والحداثة لتكشف عن فصام روحي ونفسي حاد وعميق نعيشه في أدق تفاصيل حياتنا اليومية فنحن ننظر إلى التراث كصنم مقدس لا يجوز مسه أو نقده بل يجب حمايته بدمائنا وعقولنا ونرى فيه درعاً يحمينا من رياح التغيير بينما هو في واقع الأمر قد تحول إلى قيد ثقيل وزنزانة مظلمة تفوح منها رائحة الموت وتحبس أنفاسنا وتمنعنا من رؤية شمس اليوم ومن جهة أخرى نقف مرعوبين أمام الحداثة الغربية نراها غولاً مفترساً يريد سرقة هويتنا المزيفة فنسارع بجبن

وكسل إلى استيراد أدواتها التكنولوجية وقشورها الاستهلاكية البراقة دون أن نملك الجرأة على الاقتراب من جوهرها العلمي والفلسفي الذي قام على تحطيم الأصنام الفكرية وتحرير إرادة الإنسان وإعلاء شأن العقل والبحث التجريبي الصارم إننا نرتدي أفخر الثياب العصرية ونحمل أحدث الهواتف الذكية ونسكن في ناطحات السحاب لكن عقولنا من الداخل ما زالت مظلمة تفكر بمنطق القرون الوسطى وترتعد خوفاً من أبسط فكرة جديدة وهذا التناقض الصارخ والمضحك يجعلنا نعيش في مغترب روحي دائم فلا نحن حافظنا على أصالة حقيقية تبني الروح وتدفع للامتلاء والقوة ولا نحن انخرطنا في ركب الحضارة الإنسانية الحديثة كصناع ومنتجين ومشاركين في صياغة مصير البشرية بل بقينا

مجرد عالة مستهلكين عاجزين يندبون حظهم البائس على هوامش التاريخ

واللغة العربية التي نتغنى ببلاغتها وإعجازها وتاريخها المجيد تبكي اليوم في زوايا الإهمال والعجز لأننا حولناها إلى لغة للمناسبات الطقوسية والقصائد الحماسية والمواعظ الغيبية وعجزنا عجزاً كاملاً عن جعلها لغة للعلم الحديث والفيزياء والتكنولوجيا الفائقة وعجزنا عن توطين المعرفة بها لتتحول من لغة تكرر الماضي إلى لغة تعبر عن قلق الإنسان المعاصر وتطلعاته الكبرى نحو المجهول واللانهاية والوجود الصاخب بالمتغيرات التي لا ترحم الواقفين في أماكنهم ينتظرون معجزة تأتي من السماء لتنقذهم من وحل عجزهم وصمتهم المطبق إن هذا الخطاب الثقافي البائس الذي ينتج الكلمات الجوفاء ولا يملك إرادة الفعل هو الجناية الكبرى التي نرتكبها

في حق أنفسنا وفي حق الأجيال القادمة التي نسلمها عقولاً معطلة وقلوباً خائفة وأرواحاً مهزومة ومثقلة بأوهام الأفضلية الوهمية التي لا وجود لها في واقع الحياة المعاش وإننا بحاجة إلى ثورة لغوية وفكرية حقيقية تعيد صياغة مفاهيمنا وعلاقتنا بالكلمة والمعنى لنتعلم كيف ننطق بالصدق والجرأة والشجاعة التي تليق بالإنسان الحر المبدع والخالق لمصيره بيده وعقله دون خوف من حراس المعبد القديم وسدنة الأصنام الفكرية الذين جثموا على صدورنا طويلاً ومنعونا من التحليق نحو آفاق المجد والقوة والإنسانية الحقة المتجددة دوماً وأبداً بمطارق الشجعان الذين لا يهابون السقوط في سبيل صعود القمم الشاهقة ونيل الخلاص الروحي والفكري الفعلي أقف تائهاً حائراً بين عالمين متباعدين كشخص وجد نفسه في لحظة واحدة يطأ بقدم على أرض زلزلتها

البراكين وبقدم أخرى على قمة جليدية باردة تكاد تجمد عروقه إنها المهزلة الكبرى التي نسميها جدلية التراث والحداثة والواقع أنها ليست جدلية فكرية راقية يمارسها الفلاسفة في خلواتهم بل هي معركة وجودية طاحنة تدور رحاها في أعماق كل إنسان عربي يفتح عينيه على هذا العصر الممتلئ بالصخب والتناقضات كيف يمكن لروح تريد الصدق أن تعيش في هذا الانفصام الرهيب الذي يمزق وعينا كل يوم فنحن مجبرون على الاختيار بين أمرين كلاهما يحمل موتنا الفكري إما أن نرتد إلى الماضي السحيق ونغلق عقولنا على أفكار بليت وصارت رماداً تذروه الرياح وإما أن نسقط في فخ التغريب المشوه ونبيع هويتنا ووجودنا الحقيقي لكي نتحول إلى نسخ مكررة وممسوخة من إنسان غربي لا يفهمنا ولا نفهمه إن هذه الحيرة القاتلة هي التي تشل حركتنا

وتجعلنا نراوح في أماكننا بينما العالم من حولنا يتحرك بسرعة جارفة تبتلع كل متردد وجبان لا يملك شجاعة الاختيار والابتكار الذاتي

انظروا إلى التراث كيف تحول في أيدي الكهنة وحراس القبور إلى أداة للهيمنة والتسلط على العقول ومنعها من أبسط حركات التمرد والسؤال إنهم يقدمون لنا التراث كبناء كامل ومقدس لا يجوز إضافة حجر واحد إليه ولا يجوز نزع ذرة غبار عن جدرانه القديمة المتداعية وبدلاً من أن يكون التراث منطلقاً وقاعدة متينة نقف عليها لكي نقفز نحو المستقبل الواسع حولوه إلى سقف منخفض جداً يضرب رؤوسنا كلما حاولنا الوقوف والانتصاب بقاماتنا الحرة إن هذا التقديس الأعمى ليس وفاءً للماضي بل هو خوف دفين من الحاضر الذي يطالبنا بالعمل والإنتاج وإثبات الوجود والقوة فالعاجز الكسول يجد في عبادة أسلافه

مخرجاً مريحاً يبرر به قعوده وصمته وفشله في مجاراة عباقرة العصر الذين يكتشفون الكواكب ويتحكمون بالذرة بينما نحن ما زلنا نتجادل في مجالسنا الرطبة حول تفسير كلمة قالها شخص مات وشبع موتاً منذ أكثر من ألف عام دون أن نتجرأ على التساؤل هل ما قاله يصلح لعصرنا هذا أم أنه صار عبئاً يجب التخلص منه لكي نتنفس بحرية

وفي المقابل نرى تلك الهرولة المضحكة والمخزية نحو الحداثة الغربية البراقة فنحن نتسابق بجبن وكسل لاهثين خلف قشورها الخارجية وأدواتها الاستهلاكية وسلعها التكنولوجية المتطورة دون أن نملك أدنى رغبة أو شجاعة لملامسة جوهرها العلمي والفلسفي الذي قام بالأساس على الشك المنهجي وتحطيم الأصنام الفكرية العتيقة وتحرير الإرادة الإنسانية

من قبضة الوصاية الغيبية إننا نستورد سياراتهم الفارهة وهواتفهم الذكية ونبني ناطحات السحاب ونلبس أحدث صيحات الموضة لكننا نحتفظ في داخل رؤوسنا بنفس العقلية القديمة التي ترفض نقد الذات وتخشى الحرية وتقدس الطاعة والتبعية إن هذا الاستيراد المشوه لا يصنع حضارة بل يصنع مسخاً مشوهاً لا هو مخلص لتاريخه الحقيقي ولا هو قادر على الانتماء الفعلي للعصر الحديث فنحن نعيش في اغتراب مضاعف اغتراب عن الماضي الذي حنطناه واغتراب عن الحاضر الذي نعجز عن فهم قوانينه وإنتاجه والاندماج فيه كأنداد أقوياء يملكون إرادة القوة والسيادة المعرفية أعلم تماماً ككاتب مبتدئ يحمل قلماً غضاً وقلباً يرتجف من وطأة هذه الأفكار الثقيلة أن كلماتي قد تزعج حراس التراث الأوفياء كما ستزعج دعاة التغريب والحداثة السطحية

فالكل يريدك أن تنضم إلى قطيعه لكي يشعر بالأمان العددي ولكنني أرفض أن أكون رقماً في أي قطيع وأرى أن خلاصنا الحقيقي لا يكمن في الاختيار بين التراث أو الحداثة بل في تحطيم هذه الثنائية البائسة بمطرقة النقد الصارم إن اللغة العربية التي نتغنى ببلاغتها وتاريخها وحفظها للقرآن والعلوم القديمة تقف اليوم عاجزة ومحاصرة في زوايا الإهمال لأننا عجزنا عجزاً كاملاً عن جعلها لغة للعلم والفيزياء والتكنولوجيا الفائقة والذكاء الاصطناعي وبدلاً من توطين المعرفة والعلوم الحديثة في ثنايا لغتنا لكي تنبض بالنشاط والحيوية حولناها إلى لغة للمناسبات الطقوسية والقصائد الحماسية الجوفاء والمواعظ التي تخدر الوعي وتمنع الفرد من التفكير في واقعه المعاش ومستقبله الذي ينزلق من بين يديه بسرعة مخيفة

إننا بحاجة ماسة إلى زلزال روحي وفكري يعيد صياغة علاقتنا بالزمن والوجود فالماضي يجب أن يموت فينا لكي يولد الحاضر والتراث يجب أن يتم تفكيكه وغربلته بمصفاة النقد العلمي الحديث لنأخذ منه ما يغذي رغبتنا في الحياة والقوة والجمال ونلقي بما تبقى في سلة المهملات التاريخية دون أي شعور بالذنب أو الخوف من غضب الأشباح والأسلاف والحداثة يجب ألا تكون قبلة جديدة نسجد لمنتجاتها بضعف وذل بل يجب أن تكون ميداناً للصراع والمنافسة والإبداع المعرفي الحقيقي الذي يثبت وجودنا الفردي والجمعي إن الطريق طويل والظلام المحيط بنا دامس وحراس المعبد يملؤون الدروب برعبهم وسياطهم ولكن الصرخة الحرة المتمردة التي تنبعث من صدر يكاد يختنق بغبار الماضي هي البداية الحقيقية لكل نهوض وخلاص فإما أن

نمسك بمطارقنا ونحطم هذه الجدران التي تسجن عقولنا وإما أن نرتضي لأنفسنا الموت البطيء في سراديب الذاكرة الجريحة والتاريخ لا يرحم الضعفاء والواقفين في طوابير الانتظار المذل أشعر برعب حقيقي وأنا أقف على حافة هذا الباب الموحش المليء بالأشواك والسراديب المظلمة التي تخاف حتى الطيور الكاسرة أن تحلق فوقها ولكنه الخوف الذي يسبق الولادة العظيمة الخوف الذي يعقبه اقتلاع الجذور الميتة بمطرقة صلبة لا تلين إننا نعيش في مجتمع يرتدي ثياب الفضيلة والوقار لكي يخفي وراءها جسداً متأكلاً تنخره سياط الوصاية ويمزقه شبق الهيمنة والتسلط على كل روح حرة تحاول أن تعلن عن فرديتها وقوتها إن البنية المجتمعية التي نقدسها ونعدها حصناً منيعاً لقيمنا وأخلاقنا ليست في حقيقة الأمر سوى شبكة معقدة ومرعبة من السجون المتداخلة

صممت ببراعة لتدجين الإنسان وتحويله من كائن حر خالق لمصيره وقيمه إلى مجرد رقم هامد في قطيع طويل يساق برغبات عمياء نحو حتف روحي محقق وبلا أي أمل في النجاة أو الخلاص والخلية الأولى لهذا السجن الجبار تبدأ من ذلك المكان الدافئ الذي نطلق عليه العائلة حيث يتعلم الطفل أول دروس الانحناء والخنوع تحت مسمى البر والطاعة العمياء إن العائلة في مجتمعنا المعاصر هي النموذج المصغر والأصدق للدولة الاستبدادية المتسلطة حيث يمارس الأب دور الإله الصغير الذي لا يجوز التشكيك في حكمته أو التساؤل عن صواب قراراته وينشأ الطفل في هذه البيئة الخانقة وهو يرى أن قيمته الحقيقية تكمن في قدرته على نيل رضا الأوصياء عليه وليس في قدرته على اكتشاف ذاته وصياغة تطلعاته الفريدة إننا نقتل روح المبادرة والمغامرة

والابتكار في نفوس أطفالنا منذ اللحظة الأولى التي يبدؤون فيها بنطق الكلمات فنحن نريدهم نسخاً مطابقة منا نحشو عقولهم الغضة بأوهامنا ومخاوفنا وأحقادنا التاريخية لكي نضمن بقاءهم تحت سيطرتنا الأبدية وحتى لا يجرؤ أحد منهم يوماً على الوقوف بقامة منتصبة والنظر في عيوننا ليقول لنا إنكم كنتم على خطأ وإن طريقتكم في العيش ميتة وبلا روح هذا الخوف المرضي من الفردية هو الذي يجعل مجتمعاتنا تحارب كل تميز وتعتبر كل محاولة للخروج عن المألوف أو المعتاد هرطقة اجتماعية تستوجب النبذ والعقاب الفوري لكي يبقى الجميع في مستوى واحد من التخلف والركود الروحي الذي لا ينتج سوى الضعف والهوان

أعلم تماماً ككاتب يتلمس خطواته الأولى في هذا العراء الفكري أن هذه الكلمات قد تثير غضب

الكثيرين ممن يرون في العائلة الحصن الأخير للأخلاق والترابط الاجتماعي ولكن الصدق مع الذات يتطلب منا أن نواجه الحقائق المرة دون خجل فالمجتمع الذي يقوم على الخوف والطاعة لا يمكن أن ينتج أحراراً يبنون حضارة حقيقية والترابط الذي ينتج عن كبت الأرواح ومصادرة الإرادة هو ترابط واهن يشبه ترابط العبيد في سفن الأسرى وحين ننظر إلى مكانة الشباب الذين يمثلون طاقة الحياة المتفجرة والمرأة التي تمثل نصف الروح الإنسانية ونصف عقل الوجود نرى كيف تتبدد هذه الطاقات الهائلة تحت وطأة أعراف وتقاليد بالية لا علاقة لها بالفضيلة بل بالخوف المرضي من الحياة والخوف من الجسد والخوف من الحرية فالشباب يعيشون في حالة مغتربة دائمين محاصرين بقرارات الكبار الذين يفرضون عليهم تخصصاتهم الدراسية وخياراتهم المهنية

وحتى شركاء حياتهم ليعيش الشاب حياته كشبح لشخص آخر دون أن يتذوق طعم المغامرة الحقيقية وصنع المصير بينما المرأة تسجن في زوايا العرف والوصاية الذكورية ككائن قاصر يحتاج دائماً إلى من يوجه خطاه ويتحكم في مصيره ليتحول المجتمع بأكمله إلى نصف معطل ونصف مشوه يعجز عن الطيران والصعود نحو آفاق القوة والجمال ثم ننتقل بجرأة كاملة إلى تلك المؤسسات التعليمية والدينية والسياسية التي تحالفت لتشكل سياجاً سميكاً من الوصاية على العقول والنفوس فالتعليم في بلادنا تحول إلى مصانع حقيقية لإنتاج القطعان المدجنة التي تجيد حفظ النصوص وتكرارها في قاعات الامتحانات دون فهم أو نقد والجامعات التي كان من المفترض أن تكون منارات للفكر الحر والبحث العلمي المستقل والتمرد المعرفي تحولت إلى

ثكنات ميتة تمنح شهادات ورقية جوفاء لا تسمن ولا تغني من جوع في عالم يتصارع على المعرفة والإنتاج الفعلي والمؤسسة الدينية تحالفت منذ الأزل مع السلطة الزمنية لتقدم للناس ديناً طقوسياً مفرغاً من جوهره الأخلاقي والإنساني ديناً يركز على صغائر الأمور والمظاهر الخارجية ويبرر الظلم الاجتماعي والاستبداد السياسي بدعوى طاعة أولي الأمر والحفاظ على السلم الأهلي ليتعلم الفرد أن رضى الإله يمر حتماً عبر الركوع للطغاة والقبول بالذل والهوان بينما النخب السياسية تلعب دور المهرج الذي يجيد تزييف الوعي وتجميل الواقع القبيح لكي يستمر في ممارسة نهبه المنظم للحقوق والثروات وتحت وطأة هذه الثلاثية القاتلة غاب مفهوم المواطنة الحقيقية التي تجمع الناس على أساس الحق والعدالة والقانون وحل مكانه الولاء الضيق للقبيلة

والطائفة والحزب ليتشظى المجتمع إلى أجزاء متناثرة يكره بعضها بعضاً وينتظر كل طرف فرصة الانقضاض لتدمير الآخر وتدمير ما تبقى من كرامة إنسانية فوق هذا التراب الجريح ونحن اليوم بحاجة ماسة إلى زلزال روحي وفكري يعيد فحص أسس هذه البنية المجتمعية ويهدم هذه المؤسسات التسلطية التي تحجب عنا النور لنبدأ من جديد وبإرادة حرة صياغة إنسان عربي جديد يمتلك القوة والشجاعة ليصنع قدره وعالمه الخاص بيده وعقله دون وصاية من أحد وبلا خوف من الأشباح والأسلاف الذين رحلوا وغيبهم الثرى منذ زمن بعيد أفتح عيني لأرى جداراً طويلاً من الأجساد الهرمة التي تقف بيني وبين شمس الظهيرة وكلما حاولت أن أرفع رأسي لأستنشق نسمة هواء طاهرة نقية جاءتني صفعة الوصاية لتذكرني بأنني مجرد فرع صغير في

شجرة قديمة يابسة يجب أن ينحني مع الريح حيثما مالت إننا نعيش في ظل مجتمع الأبوية المطلقة والوصاية الخانقة التي حولت حياتنا إلى سلسلة طويلة من الانحناءات المذلة تحت شعارات البر والوفاء والأخلاق الموروثة والواقع المرة يصرخ في وجوهنا بأن هذه الأبوية ليست حباً ولا رعاية بل هي إرادة هيمنة مريضة يمارسها الضعفاء والعاجزون لكي يضمنوا بقاء الجميع في مستواهم الهابط من الكسل الفكري والروحي إن العائلة العربية المعاصرة في تركيبتها الحالية ليست سوى الخلية الأولى والأساس لكل استبداد سياسي واجتماعي نشتكي منه في الشارع فكيف نطالب بالحرية ونحن نعبد الطغاة الصغار في بيوتنا كل يوم ونقدم لهم قرابين من أحلامنا وتطلعاتنا الفردية لكي يرضوا عنا ويمنحونا صكوك الغفران العائلية الزائفة

أعلم جيداً ككاتب مبتدئ يتعثر في خطواته الأولى ويحمل قلماً يرتجف من الخوف والجرأة معاً أن الكلام في هذا الموضوع بمثابة اللعب بالنار في حقل من القش فالناس في مجتمعنا مستعدون للتسامح مع أي خطيئة إلا خطيئة التشكيك في سلطة الأب والعائلة ولكنني أتساءل بمطرقتي الفكرية البسيطة كيف يمكن لروح حرة أن تولد وتنمو في زنزانة عائلية يُقاس فيها صلاح الفرد بمقدار خنوعه وقدرته على لجم تساؤلاته وقتل فضوله المعرفي إننا نحشو عقول أطفالنا منذ اللحظة الأولى التي يبدؤون فيها بنطق الكلمات بكل مخاوفنا وأوهامنا وأحقادنا القديمة ونربيهم على الخوف من التجربة والخطأ والمغامرة لكي ينشأ الطفل منا مجرد نسخة باهتة ومكررة من والديه لا يجرؤ على اتخاذ قرار واحد يخص حياته ومصيره دون أن يرتعد خوفاً من غضب

الأوصياء وسخطهم الذي يهددونه به في الدنيا والآخرة وهذا القتل المنظم للفردية والتميز هو الذي يحول مجتمعاتنا إلى قطعان من البشر المتشابهين في كل شيء المتشابهين في جهلهم وخنوعهم وخوفهم من الحياة والحرية والجمال

وانظروا كيف يمتد هذا المرض الأبوي ليتسلط على طاقات الشباب الذين يمثلون الدم الجديد المتدفق في عروق هذه الأمة الميتة وعلى المرأة التي تمثل نصف الوجود ونصف العقل ونصف الروح الإنسانية الخالقة فكل طاقة حية تحاول الانفلات من هذا الحصار الأبوي تُجابه بحرب شعواء تستخدم فيها كل الأسلحة القذرة من اتهام بالتمرد والعقوق والفساد الأخلاقي لكي تركع الروح وتستسلم وتعود إلى حظيرة الطاعة والامتثال فالشباب يعيشون مغتربين في بيوتهم محاصرين بقرارات الكبار الذين يفرضون عليهم

تخصصاتهم الدراسية التي لا يرغبونها ويختارون لهم مهنهم وزوجاتهم ليعيش الشاب حياته كشبح لشخص آخر دون أن يتذوق طعم الفشل والنجاح الحقيقيين الذين يصنعان الفرد القوي المستقل والمرأة تسجن في سراديب العرف والوصاية الذكورية الأبدية ككائن قاصر عاجز عن حماية نفسه وإدارة شؤونه يحتاج دائماً إلى وصي يقوده من يدها ليتحول المجتمع بأكمله إلى نصف معطل تماماً ونصف مشوه يمارس التسلط ليعوض عن ضعفه وهوانه أمام العالم الخارجي الذي يتجاوزنا ويسخر من تخلفنا الوجودي

إن هذه الوصاية التي نمارسها على بعضنا البعض تحت مسمى النصيحة والحرص والأخلاق هي السم الزعاف الذي يشل حركتنا ويجعلنا عاجزين عن تقديم أي إضافة حضارية للإنسانية فحين يفكر الجميع بالنيابة عن الجميع

وحين يصبح لكل شخص الحق في التدخل في شؤون الآخر وتوجيه سلوكه وفكره تضيع المسؤولية الفردية تماماً وينشأ مجتمع اتكالي ينتظر دائماً من يقرر عنه ومن يقوده نحو خلاص وهمي إننا بحاجة إلى ثورة روحية ونفسية هائلة تبدأ من داخل البيت الصغير من تحطيم هذه الأصنام الأبوية التي تحجب عنا نور الشمس والاعتراف بأن لكل روح الحق في المغامرة والخطأ والتعلم وصنع مصيرها الخاص دون وصاية من أحد إن الطريق وعر وموحش وممتلئ بضحايا الوصاية الذين تكسرت أجنحتهم قبل أن يطيروا ولكن الصرخة الحرة التي نطلقها اليوم هي بمثابة المطرقة التي ستطرق جدران هذه السجون العائلية حتى تتصدع وتنهار لكي يولد إنسان جديد قوي سيد نفسه وخالق قيمه بكل شجاعة وإرادة فولاذية تليق بالوجود الحي

الحقيقي أقف متأملاً هذا الثالوث الكئيب الذي يمسك بأطراف حياتنا ويطبق على أنفاسنا بكل قوة وجبروت التعليم والسياسة والمؤسسة الدينية إنها الأركان الثلاثة لمعبد الوصاية الأكبر الذي شيدته العصور الميتة لكي تضمن بقاء الإنسان العربي في حالة ركود دائم وخنوع مستمر دون أن يجرؤ يوماً على التساؤل عن سر هذه القيود التي تكبله منذ ولادته وحتى مماته إن المأساة الكبرى تكمن في أننا ننظر إلى هذه المؤسسات كأدوات للخلاص والنهوض بينما هي في حقيقة الأمر معاول هدم وتدجين تعمل بتنسيق خفي ورهيب لإنتاج الكائن المطيع والمستسلم لكي يساق بسلام داخل قطيع التبعية الأبدية ودون أدنى مقاومة تذكر تنجيه من هذا المصير البائس والبداية الحزينة تبدأ دائماً من تلك الثكنات التي نسميها المدارس والجامعات حيث يقتل العقل باسم

العلم والمعرفة ويتحول الإنسان إلى وعاء فارغ يُحشى بركام من المعلومات القديمة البالية انظروا بمرارة إلى هذا التعليم البائس الذي يتفاخر به المجتمع وتُنفق عليه الأموال الطائلة كيف تحول في بلادنا إلى مصانع حقيقية لصنع العقول المعطلة والنفوس الخائفة فالتعليم الذي يجب أن يكون في جوهره معولاً جباراً لتحطيم الجهل ونزع الغشاوة عن العيون وزرع الشك الخلاق في الأرواح أصبح أداة للتلقين الأعمى والحفظ السطحي الذي لا يتطلب من الفرد سوى تكرار ما قاله الآخرون في أوراق الامتحانات الباردة لكي يحصل في النهاية على شهادة ورقية جوفاء لا تغني من جوع في عالم يتسابق بالابتكار والاكتشاف وإن المدارس والجامعات تزرع في نفوس الأطفال والشباب قيم الخنوع والطاعة لآراء المعلم والأستاذ وتمنعهم بصرامة من إبداء

أي رأي مختلف أو طرح أي سؤال محرج يخرج عن حدود المنهج المقرر لكي ينشأ الطالب منا وهو يخشى الفردية ويخاف من الشك ويرتعد من الخطأ والتجربة الحرة وهذا هو الموت الفكري الحقيقي الذي نصنعه بأيدينا لنسلم مجتمعاتنا لأجيال عاجزة عن التفكير المستقل عاجزة عن الابتكار وعاجزة عن مواجهة تحديات العصر الفائقة ثم نرى كيف تتحالف هذه المؤسسة التعليمية المدجنة مع المؤسسة الدينية المتسلطة التي فرغت الإيمان من روحه الأخلاقية والإنسانية العالية وحولته إلى طقوس ومظاهر ومحرمات لا تنتهي لكي تحكم قبضتها على ضمائر الناس وتتحكم في أدق تفاصيل سلوكهم وحياتهم اليومية إن رجال المعبد وحراس النصوص القديمة يمارسون علينا وصاية روحية خانقة تجعل الفرد منا يشعر بالذنب والتقصير عند

كل محاولة للتفكير الحر أو الخروج عن التفسيرات الجاهزة والمعلبة التي وضعها أشخاص رحلوا منذ مئات السنين في ظروف تاريخية تختلف تماماً عن واقعنا المعاش والخطاب الديني السائد اليوم لا يخاطب العقل بل يخاطب الغرائز والخوف من المجهول ويقدم للناس حلولاً غيبية ساذجة لكل مشاكلهم الدنيوية المادية ويعلمهم الركوع والقبول بالفقر والظلم بدعوى الصبر والزهد وحرصاً على السلامة في الآخرة ليتشكل لدينا إنسان اتكالي ينتظر معجزة من السماء تنقذه من وحل تخلفه بدلاً من أن يمسك بمطرقته الخاصة ويبني واقعه وعالمه بيده وعقله وإرادته الحرة وفي قلب هذا التحالف الرهيب تبرز السلطة السياسية والنخب الحاكمة لتستغل هذا التجهيل المنظم والتخدير الروحي لكي تثبت عروشها وتمارس نهبها المنظم لثروات الأمة

وحقوقها المغتصبة فالسياسي في مجتمعاتنا يحتاج دائماً إلى شعب مطيع وجاهل لا يسأل عن حقوقه ولا يحاسب الطغاة بل يكتفي بالدعاء لهم بالبطانة الصالحة وتدبير شؤون حياتهم اليومية الصعبة بجهد وشقاء ولذلك تجد السلطة السياسية تدعم بكل قوتها الخطاب الديني التبريري والتعليم التلقيني لكي تضمن بقاء الجماهير في حالة من التخدير والتبعية الكاملة وتحت وطأة هذه الثلاثية القاتلة غاب مفهوم المواطنة الحرة وغابت دولة القانون والعدالة وحل مكانها الاستبداد والقمع والولاء الأعمى للطائفة والقبيلة والحزب لتتمزق الأمة إلى جزر معزولة يكره بعضها بعضاً ونصبح بلا وزن ولا قيمة تحت شمس هذا العالم المعاصر الذي يتجاوزنا ويسخر من تخلفنا وصمتنا الطويل الخانق الذي ارتضيناه لأنفسنا بضعف وجبن مخيف وحان الوقت لنمسك

بمطارقنا الثقيلة ونطرق بها جدران هذا الثالوث الكئيب لنهدم أوهامه ونبدأ من جديد بكل شجاعة وإرادة حرة صياغة حياة تليق بالإنسان الحقيقي أقف اليوم على حافة الهاوية الكبرى أرتعد خوفاً من هول المنظر ولكنني مجبر على النظر في قاعها السحيق لأرى تلك العلاقة المرضية المشوهة التي تربطنا بالآخر ذلك الكائن الغريب والمخيف الذي نسميه الغرب إنها المهزلة الكبرى التي نعيشها تحت مسمى تحديات العولمة والواقع يصرخ في وجوهنا بأننا نعيش في حالة اغتراب نفسي ووجودي لا مثيل له في تاريخ البشرية فنحن نكره الغرب علناً ونلعنه في مجالسنا وصلواتنا ونتهمه بمحاولة تدمير قيمنا وأخلاقنا وبالمقابل نركع بضعف تحت أقدامه سراً لنستجدي منه منتجاته وتكنولوجياته ونمط حياته الاستهلاكي البراق يا لها من عقدة نقص مرعبة

تفتت أرواحنا وتجعلنا نعيش في فصام دائم يعجز أي عقل سليم عن تحمله أو تفسيره دون أن يمسك بمطرقة النقد الثقيلة ليحطم بها هذه الأوهام التي نسجناها حول هويتنا الجريحة وحول الآخر الذي نراه تارة كإله نعبد منجزاته وتارة كشيطان رجيم نريد حرقه وتدميره أعلم جيداً انني ما زالت أتحسس طريقه في عالم الفكر المعقد أن الكلام في هذه العقدة المستعصية بين الشرق والغرب قد يبدو لبعض الحكماء والأساتذة الكبار نوعاً من التهور والسطحية ولكنني لا أستطيع أن ألجم قلمي الثائر وأنا أرى هذا الاستسلام المخزي والتبعية المعرفية والتكنولوجية التي نغرق فيها حتى آذاننا دون أن نجرؤ على طرح سؤال واحد حقيقي إننا نستهلك كل شيء يصنعه الغرب من الإبرة إلى الطائرة ونستخدم وسائله التكنولوجية الفائقة لكي ننشر بها تخلفنا وأفكارنا القديمة الميتة ونظن

واهمين بجهلنا الغريب أننا نملك السيادة والقوة بمجرد امتلاكنا لهذه الأدوات بينما الحقيقة المرة تهمس في عروقنا بأننا مجرد عبيد لآلات الآخرين وعقولهم فنحن لم نساهم بحجر واحد في بناء صرح هذه الحضارة الحديثة ولم نشارك في إنتاج المعرفة العلمية التي تدير العالم بل رضينا بكسل وجبن أن نكون مستهلكين عاجزين يقفون على الهامش يتباكون على تاريخ غابر لم يصنعوه بأيديهم ويخشون ضياع هويتهم التي يرونها كهيكل زجاجي هش قد ينكسر بأي لمسة ثقافية قادمة من الخارج وتتجلى هذه المأساة بأبشع صورها النفسية في تلك الثنائية القاتلة التي نعيش بين فكيها ثنائية فوبيا المؤامرة والاستسلام الكامل لنمط الحياة الغربي فنحن من جهة نرى في كل حدث عالمي مؤامرة خبيثة تستهدفنا بشكل مباشر ونعتقد بمرض نرجسي غريب أن العالم كله يترك

علمه وصناعته ومستقبله لكي يتآمر ضد عجزنا وتخلفنا لكي نبرر لأنفسنا القعود والكسل والهروب من المسؤولية الأخلاقية والوجودية تجاه مصيرنا ومن جهة أخرى نرى الغالبية العظمى من شبابنا يسقطون في الاستسلام الأعمى والتقليد المشوه لكل ما يقدمه الغرب من عادات وأفكار ونمط عيش دون أي فحص نقدي أو غربلة واعية فنحن ننسخ قشور حضارتهم الاستهلاكية ونترك جوهرها العلمي والفلسفي الذي أقام هذه الحضارة وحرر عقل الإنسان من ظلمات الجهل والوصاية وهذا الفصام العجيب يجعلنا نعيش كأجساد بلا أرواح نتحرك بأدوات الحداثة ولكن بعقول تنتمي إلى أزمنة غابرة مات أصحابها وتحللت عظامهم ليبقى الفرد العربي المعاصر معلقاً في الفراغ لا هو منتمٍ لتاريخه الحقيقي ولا هو قادر على الاندماج الفعلي في العصر الحديث

كأنداد أقوياء يملكون إرادة القوة والسيادة المعرفية والروحية وانظروا كيف تنعكس هذه الصورة المشوهة في مرآة الإعلام العالمي وكيف يرى العرب أنفسهم وكيف يراهم الآخر إننا نقف عاجزين عن تقديم صورتنا الحقيقية للعالم لأننا ببساطة لا نملك صورة حرة وقوية نقدمها بل نكتفي بالبكاء والعويل والشكوى من تشويه الآخر لملامحنا وتاريخنا بينما الحقيقة الصارخة تقول إن الآخر يرانا كما نحن في واقعنا المعاش يرانا شعوباً مستهلكة عاجزة عن الإنتاج الفعلي غارقة في صراعاتها الطائفية والقبلية وتعيش تحت وطأة أنظمة مستبدة وتجهيل منظم وعندما ننظر إلى أنفسنا نرى صورة نرجسية كاذبة نزينها بأمجاد الماضي لكي نتهرب من رؤية القبح والضعف والهوان الذي نعيشه في حاضرنا وإن هذا العجز عن مواجهة الحقيقة هو الجناية الكبرى التي

نرتكبها في حق وعينا وفي حق الأجيال القادمة التي نسلمها ذاكرة جريحة وعقلاً مشلولاً يخشى المغامرة والحرية ويقدس التبعية والكسل ويخشى مواجهة شمس الحقيقة المحرقة التي تتطلب منا تحطيم كل هذه الأصنام المعرفية والنفسية لكي نقف بقامات منتصبة ونبدأ رحلة الصعود الصعبة نحو أفق جديد من القوة والحرية والإنتاج الفعلي الذي يثبت وجودنا الحر في هذا العالم الصاخب الذي لا يرحم الضعفاء والواقفين على الهامش يتباكون على ما ضاع وفات دون أن يملكوا إرادة التغيير وخلق القيم الجديدة تليق بالإنسان الحقيقي وخالقه لمصيره بيده وعقله دون خوف أو تردد

أقف مجدداً أمام هذه المرآة المكسورة التي تفصل بين عالمين وجسدين وروحين متنافرين لكي أنبش بأصابع مرتجفة وقلم غض ما زال يتحسس طريقه في دروب الفكر الوعرة تلك العقدة

المستعصية التي نطلق عليها عقدة الشرق والغرب إنها العقدة التي جعلت منا كائنات معلقة في الفراغ لا هي قادرة على الطيران بأجنحة الحداثة الغربية الباردة ولا هي قادرة على المشي بأقدام الشرق الثقيلة والمثبتة في وحل الماضي السحيق كيف يمكن لروح تريد الصدق وترغب في الامتلاء والقوة أن تتنفس في وسط هذا التناقض الصارخ والمضحك فنحن نعيش مغتربين عن ذواتنا وعن العصر نلهث ككلاب ضالة خلف عظام الحضارة الغربية الاستهلاكية ونلعن في ذات الوقت يد الصانع الذي ألقى بها إلينا يا لها من شيزوفرينيا وجودية مرعبة تفتت نسيج وعينا وتجعلنا نراوح في أماكننا بينما الزمن يتدفق من حولنا كالنهر الجارف الذي يبتلع الضعفاء والمترددين الذين لا يملكون مطرقة حقيقية يحطمون بها جدران هذا السجن الروحي

والمعرفي الذي بنيناه بأيدينا وعشقنا قيوده لقرون طوال أعلم تماماً انني اكتب كلماتي هذه وتجتمع بي الخوف والجرأة معاً أن الحديث عن هذا الانقسام الحاد قد يبدو في نظر حراس الهوية القديمة تطاولاً وقلة أدب وجرأة غير محمودة من قلم لم ينضج بعد ولكنني أتساءل بأعلى صوتي وبكل شجاعة متمردة ألم يحن الوقت لنكف عن تمثيل هذا الدور البائس دور الضحية المظلومة التي يتآمر عليها الغرب الشرير ليل نهار إن هذا الخوف الهستيري من الآخر ومن منجزاته العلمية والفلسفية ليس غيرة على قيمنا وهويتنا كما ندعي ونكذب على أنفسنا بل هو اعتراف صريح وواضح بهشاشتنا وعجزنا الكامل عن الوقوف بقامات منتصبة كأنداد أقوياء يملكون إرادة القوة والسيادة المعرفية فنحن نرتعد خوفاً من أبسط فكرة جديدة تأتينا من هناك لأننا ندرك في أعماقنا

العميقة التي نخاف النظر إليها أن أبنيتنا الفكرية والروحية القديمة متصدعة وآيلة للسقوط عند أول ضربة شك منهجي حقيقي ولذلك نحيط أنفسنا بسياج سميك من المحرمات والخطوط الحمراء لكي نحمي جهلنا الدافئ وأوهامنا اللذيذة من رياح التغيير العاصفة التي تكتسح كل ما هو ضعيف وميت في هذا العالم الصاخب وانظروا بمرارة وعين فاحصة لا تخشى رؤية القبح إلى هذه التبعية المعرفية والتكنولوجية المذلة التي نغرق فيها حتى آذاننا فنحن نستخدم أحدث منجزات الغرب العلمية والتقنية والذكاء الاصطناعي لكي ننشر بها أفكارنا القديمة الميتة وخرافاتنا العتيقة ونظن بسذاجة مضحكة أننا نملك القوة بمجرد شرائنا لهذه الأدوات بينما الحقيقة الصارخة تهمس في آذاننا المغلقة بأننا مجرد عبيد لآلات الآخرين وعقولهم ومستهلكين عاجزين يقفون

على هامش التاريخ يتباكون على أمجاد غابرة لم يصنعوها بأنفسهم إننا نعيش صراعاً نفسياً مريضاً تجمع فيه علاقتنا بالغرب بين العشق السري المكبوت والانتقام المعلن فنحن نحسده على قوته وعلمه وحريته وتفوقه المادي ونشتهي نمط حياته الاستهلاكي بكل تفاصيله وفي نفس الوقت نلعنه ونحمله مسؤولية كل هزائمنا وإخفاقاتنا التاريخية لكي نتهرب بجبن من مسؤوليتنا الأخلاقية والوجودية تجاه واقعنا البائس وصمتنا الطويل الخانق الذي ارتضيناه لأنفسنا بضعف وجبن مخيف إن الخروج من هذه العقدة المستعصية لا يكون بالانعزال والتقوقع حول الذات الميتة وتقديس الماضي البالي ولا بالاستسلام الكامل والمشوه لكل ما يمليه علينا الغرب لنصبح مجرد نسخ ممسوخة بلا ملامح ولا كرامة بل يكون بالوقوف الشجاع أمام مرآة

الحقيقة بكسر هذه المرآة المشروخة والنظر مباشرة وبكل شجاعة إلى شمس المعرفة المحرقة لنبدأ رحلة الصراع والمنافسة الحرة والإنتاج الفعلي للأفكار والقيم وبمواجهة الغرب بمطرقته الفلسفية ذاتها بتفكيك منجزاته ونقد أسسه العلمية لنأخذ منها ما يقوينا ويدعم إرادتنا ونرمي ما يضعفنا دون أي عقدة نقص أو خوف من فقدان الهوية الزجاجية الهشة فالروح القوية لا تخاف التلاقح الثقافي ولا تخشى التغيير بل تتغذى على التحديات وتصنع من الاختلاف وقوداً لطاقة الخلق والابتكار والتحول المستمر نحو الأفضل والأقوى وإن الطريق شاق جداً ومليء بالأشواك ولكن الصرخة الحرة المتمردة التي نطلقها اليوم هي البداية الحقيقية لكل خلاص ونهوض روحي حقيقي يعيد للإنسان قيمته وسيادته الكاملة على وجوده ومصيره في هذا الوجود الفسيح وأقف

الآن فوق القمة العاصفة أتنفس هواءً بارداً يحرق رئة الضعفاء الذين اعتادوا على دفء المستنقعات والكهوف المظلمة أقف حاملاً مطرقتي التي لم تعد تبحث عن الهدم فحسب بل تبحث عن الأساس الصلب الذي يمكن أن نبني عليه إنساناً جديداً إن الخروج من هذا التيه الطويل والسبات الذي دام لقرون لا يمكن أن يتم عبر كلمات رقيقة أو وعود ناعمة تداعب أسماع الحالمين الكسالى بل يتطلب عاصفة وجودية تقتلع بقايا الأوثان الفكرية والنفسية التي عششت في أرواحنا إننا بحاجة إلى مشروع نهضوي لا يطلب النجاة بل يطلب السيادة والقوة والامتلاء الروحي الكامل مشروع لا يتباكى على ما فات ولا ينتظر مخلصاً يأتي من غيب مجهول بل يعلن بجرأة أن المخلص الوحيد هو الإنسان نفسه حين يقرر أن يمسك بمطرقته ويصنع قدره وعالمه الخاص بيده وعقله وإرادته

الفولاذية التي لا تلين أمام عواصف الزمن وتحديات العصر الصاخب أعلم تماماً كانسان في هذا الطريق الوعر أن الدعوة إلى تحطيم القيم القديمة وبناء قيم جديدة قد تبدو في نظر حراس الهياكل الميتة ضرباً من الجنون أو المراهقة الفكرية ولكنني أصرخ بأعلى صوتي في هذا العراء الموحش أن الجنون الحقيقي هو الاستمرار في تكرار نفس الفشل وتوقع نتائج مختلفة إن أفق الخروج يبدأ من تلك اللحظة الحاسمة والمهيبة التي نقرر فيها بكل شجاعة أن نعلن موت الإنسان العربي الخانق والتابع لنفسح المجال لولادة الإنسان الخالق والمبدع والسيّد إننا بحاجة إلى ثورة فكرية شاملة لا ترحم الأوهام المتوارثة ثورة تعيد الاعتبار للفلسفة والعلوم الإنسانية ليس كترف فكري بل كسلاح حاسم لتفكيك الوعي المزيف وزعزعة اليقينيات الكاذبة التي جعلت منا

مجرد قطعان تساق برغبات الطغاة والجهلة والانتهازيين الذين يجيدون العزف على أوتار الخوف والاتكالية والتبعية الجبانة إن الخطوة الأولى نحو هذا الأفق الجديد هي إعلان الحرب المقدسة على الاتكالية الفكرية والروحية التي تنخر في عظامنا فنحن أمة اعتادت أن تنتظر الإجابات الجاهزة والحلول المعلبة من الماضي أو من الآخر الغريب وحان الوقت لكي نتعلم كيف نطرح الأسئلة الحارقة والمزعجة التي تهز أركان الطمأنينة الكاذبة ونؤسس لعقد اجتماعي جديد يقوم على احترام حرية الفرد المطلقة وقدسية حقوقه الإنسانية وقوة القانون العادل الذي يخضع له الجميع بلا استثناء وبدون هذا التحول الجذري والعميق في بنيتنا النفسية والفكرية سنبقى ندور في نفس الحلقة المفرغة ونعيد إنتاج نفس الخيبات والانكسارات متنازلين عن إرادة القوة والسيادة

الحقيقية لصالح مسكنات واهية تؤجل الانهيار ولا تمنعه وتجعلنا عالة على موائد الحضارة الإنسانية الحديثة التي لا تحترم إلا الأقوياء والمنتجين والخالقين للقيم والجمال والوجود

انظروا إلى القمم الشاهقة التي تنتظر الشجعان الذين لا يرتجفون من هول المغامرة ولا يخشون السقوط في الهاوية فالطريق إلى النهضة الحقيقية ليس مفروشاً بالورود والرياحين بل هو درب وعر يتطلب منا تضحيات كبرى وأول ما يجب أن نضحي به هو كبرياؤنا الزائف وأوهام الأفضلية الوهمية التي نختبئ وراءها لكي نتهرب من مواجهة واقعنا البائس إننا بحاجة إلى تحويل مجتمعاتنا من مجتمعات مستهلكة تلهث خلف منجزات الآخرين إلى مجتمعات منتجة للمعلومة والتقنية والمعرفة العلمية الصارمة وهذا لا يتم إلا برفض الوصاية والتدجين وتطهير عقولنا من

رواسب القرون الميتة التي أغلقت منافذ النور والوعي وعلينا أن نمتلك الجرأة لكي نكتب تاريخنا بأيدينا وبأقلام لا تعرف المجاملة ونصنع مستقبلاً يليق بقوتنا وتطلعاتنا الكبرى وبدون هذه الإرادة الحرة الفولاذية سنبقى مجرد بقايا حضارة تتلاشى ببطء في غياهب النسيان والتاريخ لا يرحم الضعفاء والواقفين على الهامش يتباكون على أمجاد غابرة لم يصنعوها بأنفسهم بل ورثوها كعبء ثقيل يمنعهم من الحركة والطيران والصعود نحو أفق الخلاص الفعلي والروحي الجميل أقف اليوم وفي يدي مطرقة ثقيلة تهتز برعشة من الخوف ولكنها مدفوعة بشوق جارف للحرية والتدمير المقدس إنني كاتب مبتدئ يخط بأصابع مرتجفة كلمات تبدو في نظر الكهنة كفراً صريحاً وفي نظر العبيد جنوناً مطبقاً ولكنني أعلنها صرخة مدوية في عراء هذا الشرق النائم

إننا لا نحتاج إلى ترقيع لثيابنا البالية ولا إلى وعظ ناعم يداعب جروحنا المزمنة بل نحتاج إلى ثورة فكرية شاملة تزلزل الأرض من تحت أقدام الأصنام والآلهة المزيفة التي جثمت على صدور عقولنا لقرون طوال إن هذه الثورة التي أدعو إليها ليست نزهة فلسفية لطيفة بل هي معركة وجودية شرسة تسيل فيها دماء الأوهام وتهدم فيها قلاع اليقين الكاذب لكي يولد من رمادها الإنسان الجديد القوي المعافى من وباء الطاعة والخنوع والتبعية العمياء انظروا إلى عقولنا كيف تحولت بفعل التلقين والوصاية والترهيب المستمر إلى برك راكدة تفوح منها رائحة الموت والتعفن فنحن نقدس السكون ونخشى الحركة ونرى في الشك خطيئة كبرى تستوجب النفي واللعنة بينما الحقيقة الصارخة تهمس في أرواحنا الحرة بأن الشك هو أول درجات النضج المعرفي والروحي وبأن

الإيمان الأعمى ليس إلا علامة صارخة على كسل العقل وضعف الإرادة وخوف الإنسان من تحمل مسؤولية وجوده وقراره الفردي إن الثورة الفكرية الشاملة تبدأ من تحطيم هذه الحظائر الدافئة التي حشرنا أنفسنا داخلها وتبدأ من إعلان الحق المطلق في السؤال والنقد والتفكيك والتمرد على كل نص أو رمز أو قيمة تحاول صب عقولنا في قوالب جاهزة ومحنطة تمنعنا من مواجهة تحديات عصرنا الصاخب الذي لا يرحم الواقفين في أماكنهم ينتظرون معجزة وهمية تنقذهم من مستنقع عجزهم كيف يمكن لروح تعشق الصعود والقمم أن ترضى بالعيش في قاع الهوان الفكري وكيف لأمة تملك طاقات الشباب المتفجرة وعقل المرأة الخلاق والحر أن تقبل بأن يقود خطوتها شيوخ ماتت عقولهم وجفت أرواحهم منذ أزمنة بعيدة إن هذه الوصاية الروحية والمجتمعية

والسياسية الخانقة هي السم الزعاف الذي يتغلغل في دمائنا صباحاً ومساءً ويمنعنا من خلق أي قيمة جديدة تضاف إلى سفر الإنسانية المعاصرة وعلينا أن نمتلك الجرأة الكاملة لكي ننظر في عيون الأوصياء والآباء والكهنة ونقول لهم بكل شجاعة وصدق إن زمن الطاعة قد ولى وإننا نرفض أن نكون نسخاً مكررة من فشلكم وخصامكم التاريخي العقيم ونريد أن نرتكب أخطاءنا بأنفسنا ونتعلم منها ونبني عالمنا بدمائنا وعقولنا وإرادتنا الفولاذية التي لا تلين أمام سياط الترهيب والنبذ والاتهام بالخروج عن المألوف أعلم تماماً أن حراس المعبد القديم وسدنة الأوهام الموروثة سيشحذون أسلحتهم القذرة وسيتهمون كلماتي الغضة بالتهور والمراهقة الفكرية وسيحاولون إخماد هذه الشرارة في مهدها لكي يحافظوا على عروشهم وامتيازاتهم القائمة على تجهيل الناس

وتدجين عقولهم ولكنني لا أهتم لعويلهم ولا أرتعد من تهديداتهم الجوفاء فالنور حين يسطع لا يستأذن الخفافيش والرياح العاصفة حين تهب لا ترحم الأوراق اليابسة المتساقطة إن طريق الثورة الفكرية طويل وشاق ومليء بالآلام والجراح ولكنها الآلام التي تسبق الولادة العظيمة والجراح التي تصنع النفوس القوية والرجال الحقيقيين الأحرار فإما أن نمسك بمطارقنا ونضرب بكل قوتنا جدران هذا السجن المعرفي والنفسي العتيق حتى يتصدع وينهار وإما أن نرتضي لأنفسنا الموت البطيء والمذل على هوامش التاريخ والوجود فالحياة لا تعطي ثمارها اللذيذة إلا للشجعان الذين يجرؤون على صعود القمم الشاهقة واقتحام المجهول بلا خوف وبلا تردد وبلا ندم ونحن نريد أن نكون هؤلاء الشجعان الذين يكتبون فجر اليوم الجديد بأقلام حرة لا

تعرف الخضوع ولا تنحني لعاصفة أو لوصاية
مهما بلغت قوتها وجبروتها

النهاية